الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية: الآداب واللغات

قسم:اللغة العربية وآدابها

تخصص: آدب عربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس الموسومة بـ:

الاتجاه الواقعي في رواية ريح الجنوب

لعبد الحميد بن هدوقة

اعداد الطالبتين:

- حباس فاطمة
- محلول نور الهدى

بإشراف الدكتورة:

– مرقب زبير

السنة الجامعية: 2022/2021

إهـــــداء

إلى من علّمني ودرّسني حتى ما صرت عليه الآن

*** أبي الغالي***

إلى من سهرت وتعبت من اجلي ومن أجل راحتي

*** أمي العزيزة ***

إلى إخوتي الأحباء الذين ساندوني بعطفهم وحنانهم وكل ما أحتاج

إلى الأستاذ العزيز الذي ساندني في دراستي ونجاحي

كل الشكر والتقدير لكم حفظكم الله لي ولأحبائكم جميعا

فاطمة

إهـــــداء

إلى حجة الله على خلقه وسراجه في أرضه

إلى سليل الخيار ونور النوار وزين الأبرار

إلى قائم آل محمد عليه السلام

إلى والدتي العزيزة "المثل والقدوة" من ترعرعت الروح بأفضالها ولا نطمع إلا برضاها

يا من سلك دروب الحياة اعتزازا واحتراما

*** والدي***

يا من هم عزوتي وبهم تكتمل فرحتي

*** إخوتي ***

كما اهدي مجهودي إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة

نـــور الـــهدى

إلى الذين مهّدوا لنا طريق العلم والمعرفة

مقدمة

مقدّمة:

استطاعت الرّواية في القرن التّاسع عشر أن تثبت وجودها في السّاحة الثّقافيّة العالمية، وان تتصدّر قائمة الأجناس الأدبيّة بفعل ما تتوفّر عليه من مرونة وقدرة على مواكبة محتويات الواقع وميل متواصل إلى التجريب الشّكلي، وقد ورد منجزها السّردي بآليات وتقنيات متنوّعة وموضوعات جديدة، إضافة إلى إسهامات في إنتاج المعرفة وبث الأفكار الإيديولوجية والسياسية والاجتماعية.

تشكّل الرّواية العربية بشكلها المعاصر ملحما أدبيا مستحدثا في الثّقافة العربية، أكّد جدارته في النّصف الثاني من القرن العشرين وحتى اليوم في تصدّر ما سواه من الأجناس الأدبية، وأكّد أيضا رسوخه وقدرته على التّجذّر في الوعي الثّقافي العربي باستقطابه اهتمام القرّاء في العالم العربي، بل وهيمنته على مساحة القرّاء في عمليات التّلقّي الرّاهنة.

بالنّسبة للرواية الجزائرية فقد عرفت هي الأخرى تطوّرا كبيرا بعد أن تسنّى لها تجاوز مرحلة التّمرين والنضج الفنّي، وصدرت أعمال روائية متنوّعة شكّلت حيّزا لا يمكن إغلاقه في خارطة الرّواية العربية.

الواقعيّة مذهب غربي، كان له تأثيره على الأدب العربي وبصورة خاصة على الأدب الجزائري، حيث اتّجه الأدباء إلى تصوير حياة البؤس والشّقاء في ظلّ الظّلم والحرمان، واستطاعوا إلى حدّ بعيد نقل حقائق الواقع المعيشي فتسلّحوا بسلاح الأدب، وأخذوا من الرّواية سبيلا لحلّ مشاكلهم، ومن بينهم "عبد الحميد هدّوقة" من خلال روايته "ريح الجنوب" التي هي محلّ دراستي، تطرّق فيها الكاتب إلى قضايا ومواضيع هامة، حيث احتلّت روايته الصّدارة، فكانت أوّل رواية كُتِبت بالعربي، اتّخذت من الواقع نقطة انطلاق لها من خلال كتاباته وإبداعاته، وسأتطرّق من خلال بحثي هذا الذي يحمل عنوان (الاتجاه الواعي في رواية ريح الجنوب" إلى طرح الإشكال التالي:

* ما أثر الواقعيّة في الرّواية الجزائرية عامة وريح الجنوب خاصّة؟

ولتحديد اتّجاه البحث ومعالم الدّراسة لابد من الخطّة التي تعدّ العمود الفقري لبحثي هذا والتي تتكوّن من مقدّمة وفصلين وخاتمة.

الفصل الأوّل فصل نظري تحت عنوان "الرّواية العربية والواقع، تناولت فيه مبحثين؛ المبحث الأوّل تاريخ ظهور الرّواية العربية والجزائرية، تطرّقت فيه إلى ثلاث مطالب حول تعريف الرّواية ونشأتها وتطوّرها، أما المبحث الثّاني فجاء تحت عنوان ظهور الواقعيّة الذي فصلت فيه أيضا في ثلاث مطالب تشمل مفهوم

الواقعيّة وأنواعها وعلاقتها بالرّواية، أما فيما يخص الفصل الثاني وهو التطبيقي تحت عنوان عبد الحميد بن هدّوقة وريح الجنوب، تناولت فيه مبحثين؛ الأوّل تحت عنوان بن هدّوقة وريح الجنوب، تطرّقت فيه إلى ثلاث مطالب وهي نبذة عن حياته وظروف كتابة الرّواية (ريح لجنوب)، وملخّص قصير للرّواية.

أما المبحث الثاني تحت عنوان تجلّيات الواقع في رواية "ريح الجنوب" تناولت فيه مطلبين وهما أثر الواقعية في الرّواية الجزائرية عامّة، وأثرها في ريح الجنوب خاصّة، وخاتمة نجيب فيها عن الإشكالية التي طرحت في المقدّمة وشكرا.

الـــفصـل الأوّل:

الـرّوايــة الـعربيّــة الـجـزائـــريّــة

المبحث الأوّل: تاريخ ظهور الرّواية العربية

المطلب الأوّل: تعريف الرّواية

1- لغة:

يتحدّد المفهوم اللغوي للرواية بالعودة إلى ما أوردته المعاجم اللغوية فقدّروه في (معجم لسان العرب) أنّ الرّواية مشتقّة من الفعل (ر. و. ى)، يقال: "رويت القوم أوريتهم إذا استسقيت لهم، ويقال من أين ريتكم؟ أي من أين ترتوون الماء، ويقال: "روى فلان فلانا شعرا إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه".[1]

- وجاء في القاموس المحيط أيضا الرّواية مشتقّة كم الفعل (روى)؛ يقال: "روى الحديث – يروي رواية وترواه".[2]

- كما عرّفها الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه (العين) "الرّواية رواية الشعر والحديث ورجل كثير الرّواية والجمع رواه."[3]

نلاحظ من المفهوم اللغوي أنّ الرّواية استعملت بداية بالماء، ثم أصبحت تطلق على رواية الشّعر والحديث وكثرة الرّواية ونقصد بها كذلك النّصوص والأخبار نسبة إلى رواية الحديث.

2- اصطلاحا:

تعبّر الرّواية أحد أهم أنواع السّرد الأدبي، ولقد اختلفت وجهة نظر الباحثين في وضع تعريف موحّد ومحدّد له، وفي هذا الصدد نجد: "عبد المالك مرتاض" يقول: "تتّخذ الرّواية لنفسها ألف وجه وترتدي في هيئتها ألف رداء، وتشكّل أمام القارئ تحت ألف شكل مما يعسّر تعريفها تعريفا جامعا مانعا."[4]

ومما جاء في تعريفها نجد "لطيف زيتوني" في معجم (مصطلحات نقد الرّواية) يقول: "الرّواية في صورتها العامة هي نص نثري تخيّلي سردي واقعي غالبا ما يدور حول شخصيات متورّطة في حدث مهم، وهي

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 14، ط 01، 2003، ص 425.

[2] – الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرّسالة ، ص 1290.

[3] – الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتابة العلمية، لبنان، ج 02، ط 01، 2003، ص 165.

[4] – عبد الملك مرتاض، في نظرية الرّواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1998، ص 11.

تمثيل للحياة والتجربة واكتساب المعرفة، يشكّل الحدث والوصف والاكتشاف عناصر مهمة تتمثّل في الحدث والوصف والاكتشاف عناصر مهمة في الرّواية، وهي تتفاعل وتنمو وتحقق وظائفها داخل النص وعلاقاتها فيما بعد.[1]

يظهر لنا من خلال هذا التعريف أنّ الرّواية تعتمد على التّخيّل وكذلك محاكاة الواقع، والتّجربة الإنسانية تعتمد على عناصر مهمة تتمثّل في: الحدث والوصف والاكتشاف، وهي سمات تجعل من الرّواية فنا أدبيا متميّزا عن بقيّة الفنون والأجناس الأدبية الأخرى التي تفتقد هذه السّمات.

يرى "ميخائيل باختين" Mikhail Bakhtine أنّ الرّواية تحتوي على مختلف الأجناس التّعبيرية، فنجده يقول: "أنّ الرّواية تسمح بأن تدخ إلى كيانها جميع الأجناس التّعبيرية سواء كانت أدبيّة (قصص، أشعار، مقاطع كوميدية أو جنس تعبيري يمكنه أن يدخل إلى بنية الرّواية، وليس من السّهل العثور على جنس تعبيري واحد لم يسبق له في يوم ما أن ألحقه كاتب أو آخر بالرّواية".[2]

نلاحظ من خلال تصوّر "ميخائيل باختين" أنّ الرّواية جنس أدبي منفتح على بقيّة الأجناس الأدبية والمجالات المختلفة، وهذا ما يضمن ثراءها وتنوّعها وتميّزها عن بقيّة الفنون، حيث أكّد "ميخائيل باختين" في تعريفه أنّ الرّواية لا تمثل نوعا أدبيا خالصا، بل هي خطاب معيّن يجمع كل الخطابات الأدبية وغير الأدبية حتى تبدو الرّواية جنسا بلا حدود، وإنها كما يرى "جابر عصفور" الجنس القادر على التقاط الأنغام المتباعدة والمتنافرة والمتغايرة الخواص لإيقاع عصرنا.[3]

يتّضح من خلال رؤية "جابر عصفور" أنّ الرّواية يتّخذها الرّوائي ملجأ للتّقييس على الواقع المعاش وإيقاع العصر".

ونجد "نجوى الرّياحي القسنطيني" تعرّفها بقولها: "ممارسة لغوية نثرية تعرض صورا عن الحياة وأوسع العلاقات بين الشخصيات وفق ضوابط فنّية وأسلوب تشكيلي معيّنين يجعلان الرّواية حريصة إما على مقارنة الواقع أو على جمالية التّعبير وحسن الصّياغة والتّشكيل.

[1] – لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1998.

[2] – ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر، القاهرة، د ط، 1978، ص 77.

[3] – عادل فريحات، مزايا الرواية، منشورات اتحاد كتّاب العرب، دمشق، د ط، 2000، ص 09.

يبرز هذا التّعريف أنّ الرّواية ليست فنّا عشوائيا بل تعتمد على ضوابط وقواعد فنّيّة في بنائها وعرضها لصور الحياة والعلاقات بين الشخصيات من صراعات وتحاور وصداقة وتعاون، والمواقف التي يتعرّض لها الإنسان وذلك بأسلوب وصياغة راقية وخصائص فنية تميّزها عن الأجناس الأخرى من حيث الحجم، اللغة، تعدّد الشّخصيّات وتنوّع الأحداث وهي الأكثر تطوّر وتغيّرا.

المطلب الثاني: نشأة الرّواية العربية

ظهرت الرّواية في الغرب ثم انتقلت إلى الوطن العربي، حيث نشأت في الأدب العربي مواكبة لعصر النّهضة الحديثة، ولم يعرفها الأدباء في القديم، ما عدا بعضهم في إطار الرّواية ليس سوى أخبار بطوليّة كانت تُقصُّ في الاجتماعات وحلقات الأسمار مثل قصص "سيف بن ذي يزن" و"الزّير سالم"، الغاية منها التّسليّة وملء الفراغ.

ويرجع الفضل في ظهور الرّواية إلى الصّحافة، وذلك بنشر المجلّات للعديد من الرّوايات الغربيّة إلى اللغة العربيّة.[1]

ارتبط ظهور الرّواية بوصفها فنّ حديث النّهضة على المستوى الحضاري بعامة، وعلى المستوى الأدبي خاصة، وظهرت منذ العقد الثاني من القرن التّاسع عشر، فقد سجّلت المدوّنات التاريخية النّقدية مبادرات روائية منذ عام 1865م، حيث نشر "فرانسيس مراش" محاولته الرّوائية الأولى "غابة الحق" وتبعتها محاولات لكتابة رواية عربية في الشّام ومصر قام بها "سليم البستاني" و"جورجي زيدان".[2]

يرى بعض الدّارسين أنّ الرّواية حديث مستورد (ومن بينهم إسماعيل أدهم وبطرس خلاق)، باعتبارها نشأت في العصر الحديث من مقتبس من الغرب ومتأثر به، ويعدّ كتاب "الطّهطاوي" "تلخيص الإبريز في تلخيص باريز" مطلع الفن القصصي في الأدب العربي الحديث، وكان لمصر السّبق في ظهور الرّواية العربيّة.[3]

[1] – عزيز مريدن، القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 1985، د ط، ص 76.

[2] – محمد صالح الشنطي، أسئلة الفكر وفضاءات السرد، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، 2013، ط 01، ص 188.

[3] – صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2009، ط 02، ص 25.

ورد أنّ أولى الرّوايات العربية ظهرت في الثّلث الأخير من القرن التّاسع عشر (سنة 1847م وما بعدها) وكانت منذ نشأتها واقعة تحت تأثير عالمين وهماك الحنين إلى الماضي ومحاولة الاندماج فيه مرة أخرى، وكذلك الافتتان بالغرب ولخضوع لهيمنته.[1]

كما نشأت طائفة من المثقّفين العرب ف ظل الثورة القومية في مصر سنة 1919م، حرصت على تجاوز الرّواية التّعليمية وضرورة اقتباس علوم الغرب والإفادة منها، والتّغيّر الاجتماعي باعتبار الأدب تصوير للحياة وليس مجرّد ثوب لفكرة علميّة أو اجتماعية، وبهذا فتح المجال للعديد من الأعمال الرّوائية الفنيّة الحديدة.[2]

يرى النّاقد "مصطفى عبد الغني" أنّ ظهور الرّواية في الوطن العربي ارتبط بعاملين هما: أثر كل من مصر ولبنان في نشأة هذا الجنس الأدبي سواء في درجة التّأثر بالغرب أو التّأثير في الأقطار العربية، وأنّ تطوّر الفن الرّوائي ارتبط في ظهوره بتطوّر الاتجاه القومي العربي ونضجه.[3]

فالرّوايات التي كُتبت بدءً من عام 1847م وحتى بداية القرن العشرين كانت موزّعة بين أسلوب المقامات ولغتها الزخرفية واحتوائها على كمّ هائل من المعلومات غير المتجانسة، وبين الوقوع تحت تأثير الرّوايات الغربية الرّديئة.[4]

ارتبطت الرّواية العربية منذ بداية نشأتها بمحاولة إبراز الهوّية القومية وبلورتها في مواجهة الآخر الغربي المستعمر، فكانت البدايات الأولى ببنيتها التعبيرية امتدادا بنيويا لمختلف التّعابير الأدبية السابقة، كالحكايات والسّير الشعبية والمقامات، وقد أحصى الدكتور "علي شلش" في كتابه "نشأة النقد الرّوائي في الأدب العربي الحديث" ما يقرب 250 رواية غربية مؤلفة بين عام 1870م و1912م.[5]

ومن الرّوايات العربية الأولى ما نُشِر بمجلّة "الجنان" سنة 1870م لـ"سليم البستاني ، منها "الهيام في جنان الشام"، "بدور"، "أسماء"، و"زنوبيا ملكة تدمر"، وكان له الفضل في شقّ الطّريق أمام عدد كبير من الكُتّاب

[1] – محمد هادي، لمحة عن ظهور الرّواية العربية وتطوّرها، دراسات الأدب المعاصر، ع 16، 1991، ص 04.

[2] – شجاع مسلم الحاني، الرّواية العربية والحضارة الأوروبيّة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، 1979م، ص 20.

[3] – عبد الغني مصطفى: "الاتجاه القومي في الرّواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، 1992م، ص 22.

[4] – محمد هادي مرادي، لمحة عن ظهور الرواية العربية وتطوّرها، ص 04.

[5] – المرجع السابق، 3 الكويت، د ط، ص 05.

وروايات "جورجي زيدان" الذي ساهم في تطوير الفن الرّوائي خلال الفترة الممتدّة بين أواخر القرن التّاسع عشر وسنة 1914، فبلغت رواياته إحدى وعشرين، كما وجد "فرح أنطوان" برواياته الاجتماعية.[1]

لقيت الرّواية العربية إقبالا واسعا من قِبل المبدعين والمعجبين بهذا الفن، وذلك بتصوير الرّواية للواقع الاجتماعي والسياسي والتاريخي.

نتجت الرّواية العربية على ضوء الاتصال المباشر بين الشرق والغرب والتّأثر بين الحضارتين العربية والغربية، ويمكن القول أن الفن الرّوائي فنّ مستورد.

لقد واكبت الرّواية العربية تشكّل الرّؤية النّهضوية في جوانبها المختلفة وخصوصا فيما يتعلّق بالمواقف الفكرية ذات البعد الاستراتيجي للنهضة مثل العلاقة بين الذّات والآخر التي استحوذت على الجانب المهم في الإنتاج الرّوائي.[2]

وما عُرِف عن الرّواية العربية أنها حافظت على الهوّية والأصول العربية رغم الاحتكاك الكبير مع الغرب، وفي هذا يقول الطّهطاوي:

أصبو إلى كلّ ذي جمال *** ولست من صبوتي أخاف

وليس في الهوى ارتياب *** وإنما شيمتي العقاب

وقال أيضا: لا أستحسن إلا ما لم يخالف نص الشّريعة المحمّدية[3]

من خلال ما سبق نلاحظ أنّ الرّواية العربية كانت نقطة انطلاقها من خلال تأثرها بالأعمال الرّوائية الغربية التي عرفت تطوّرا شاملا مسّ الأدباء العرب، وتمثّلت الثّمرة الأولى في رواية "زينب" لـ"محمد هيكل" وذلك بإجماع النّقاد والأدباء والباحثين.

[1] – عزيزة مريدن، القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص 76.

[2] – محمد صالح الشنطي، أسئلة الفكر وفضاءات السرد، مؤسسة الورّاق للنضر والتوزيع، الأردن، ط 01، 2013، ص 45.

[3] – عبد الله أوغرب، الذات والآخر الغربي في روايتي الغربة والتيم لعبد الله الحروي، نيل شهادة الماجستير في الأدب الحديث، تلمسان، 2011– 2012، ص 10.

تعدّ رواية "زينب" لصاحبها "محمد هيكل" الذي واكب الثّقافة الغربية المحاولة الرّوائية الأولى الرّائدة في العالم العربي.[1]

يكاد يتّفق دارسو الأدب العربي أنّ قصة "زينب" هي الرّواية الفنّيّة التّأسيسية في الأدب العربي لتخلّصها من الأسلوب المقامي وتحقيقها لبعض الخصائص الفنّية الرّوائية مع وصفها للواقع المصري الصميم عن طريق وصف حياة الفلاحين، وقد عنونها كاتبها "زينب" مناظر وأخلاق ريفية يقول "يحي حقّي": "إنّ مكانة قصّة زينب لا ترجع فحسب إلى أنّها أول القصص في أدبنا الحديث، بل إنها لا تزال إلى اليوم أفضل القصص في وصف الرّيف وصفا مستوعبا شاملا.[2]

تمثّل موضوع رواية "زينب" التي تعتبر أوّل رواية في الأدب العربي –حسب الدّارسين– في تصوير حياة المواطن المصري وحالته الاجتماعية عامة والفلاح المصري خاصة بوصف حياته وطريقة عيشه، بحيث حققت الرّواية شهرة كبيرة في وقت قياسي.

تكوّنت الرّواية العربية ونمت مقوّماتها بفضل أدباء وروائيين ساهموا في تطويرها، ويرى الباحثون أنّ مصر كانت سبّاقة في ميلاد الرّواية ، أما بقية الأقطار فعرفت ظهور الرّواية بعد ذلك لظروف خاصة بكل بلد، فمثلا ظهرت في تونس سنة 1935م مع "علي الدعجاوي" بروايته "جولة في حانات البحر الأبيض المتوسّط"، وفي المغرب سنة 1957م مع "عبد المجيد بن جلون" بروايته "الطّفولة".[3]

فالرّواية في أقطار المغرب العربي حديثة الظّهور ومتأخرة نسبيا، لكن تطوّرها كان سريعا، ففترة السبعينات من القرن العشرين تشكّلت فيها التجربة الروائية المغاربية التي تحطّمت معها مقولة المشرق "بضاعتنا رُدّت إلينا"، فحدث تطوّر فعلي في مجال السرديات إبداعا ونقدا.[4]

الأدب الإنساني ترجمان للتّطوّر الفكري والزّمني لوعي الإنسان لذاته وما يدور حوله، وقد ساهم الأدب في تطوير المجتمع وإنشاء واقع مغاير للواقع السابق الذي عرفته الأمم والحضارات العابرة عبر التاريخ.

---

[1] – محمد صالح الشنطي، مرجع سابق، ص 18.

[2] – يحي حقي، فجر القصة المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987، د ط، ص 48.

[3] – صالحة مفقودة، "المرأة في الرواية الجزائرية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2009، ط 02، ث 27.

[4] – صالح مفقودة، اتجاهات في الرواية العربية، منشورات مخبر أبحاث في اللغة العربية والأدب الجزائري، الجزائر، ص 12.

وكانت الرّواية العربية واحدة من نتائج هذا التّطوّر الذي عرفه الأدب الإنساني، والفن الرّوائي عبارة عن رسائل تعبيرية نثرية مستنبطة من الواقع الحقيقي للإنسان.

لابد من الاهتمام بدراسة رواية "ريح الجنوب" لأنها تبدو أسبق من غيرها زمنيا ولأنها تعالج موضوعا تلتقي فيه مع رواية أخرى وهي "الزلزال"، ونعني به موضوع الثورة الزراعية حسب وجهة نظر خاصة لكل كاتب وحسب الميزة الخاصة له أيضا.[1]

تعتبر "ريح الجنوب" الرّواية الفنيّة المكتملة التي يؤرخ بها مرحلة ما بعد الثورة، وقد جاءت بعد عقد تقريبا من الاستقلال الوطني، في فترة كان الحديث السياسي جاريا بشكل جدّي عن الثورة الزراعية، فأنجزها "بن هدّوقة في 05 نوفمبر 1970م، تزكية للخطاب السياسي الذي كان يلوح بآمال واسعة للخروج بالرّيف من عزلته.[2]

يمكن القول أنّ فترة السبعينات (1970- 1980م) عقد الرواية الجزائرية، فقد شهدت هذه الفترة ما لم تشهده من قبل من إنجازات سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو ثقافية، وكانت الرواية تجسيدا لذلك من الأعمال التي كان ميلادها تلك الفترة:

- اللاز، الزلزال، عرس البغل، العشق والموت في الزمن الحراشي لـ"طاه وطّار".
- قبل الزلزال لعلاوة بوجادي.
- ريح الجنوب، بان الصبح، نهاية الأمس لـ"عبد الحميد بن هدّوقة.
- ما لا تذروه الرياح، الطّموح لـ"عبد العالي محمد عرعار.[3]

عرفت الجزائر مشوارا روائيا زاخرا غداة الاستقلال لتوفّر الظروف المناسبة للكتابة، بحيث ظهر روائيون صوّروا الواقع بحذافيره أمثال "الطّاهر وطّار" و"بن هدّوقة"، وهذه الروايات عبارة عن صميم جزائري صميم السياسة والوطن.

[1] – عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 198.

[2] – عبد الله ركبي، تطوّر النثر الجزائري الحديث، الدار العربية الحديثة للكتابة، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم، 1978، ص 201.

[3] – واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 111.

جاءت رواية "اللاز" كإنجاز فني جريء وضخم يطرح بكل واقعية وموضوعية قضية الثورة الوطنية وتليها رواية "طيور في الظّهيرة" لـ"مرزاق بقطاش"، الذي حاول أن يعطي فنيا إنجازات الثورة الوطنية التي لم تتح فيها الظروف الصعبة للرواية العربية في الجزائر أن تقوم بدورها التاريخي، كما رسم من خلال روايته معاناة الطّبقة المسحوقة إبّان الاستعمار الفرنسي.[1]

حمل الأدباء على عاتقهم مسؤولية المساهمة في معركة البناء وتصوير مظاهر الصّراع العنيف الذي يخوضه سواد الشعب لإثبات وجوده، من خلال الفن الرّوائي في فترة السبعينات مع الروائيين: "محمد عرعار" و"بن هدّوقة" و"الطّاهر وطّار"، الذين تميّزوا بروايات عكست في مضمونها الوضع الاجتماعي والسياسي المزري في الجزائر إبان الاستعمار، إضافة إلى روايات ظهرت أثناء الثورة الوطنية.[2]فظهرت نشأة الرواية الجزائرية شبيهة بالظروف التي نشأت فيها الرواية في الوطن العربي شرقه وغربه، سواء في نشأتها الأولى المتردّدة أو في انطلاقتها "النّاضجة"، ولم تأت هذه النّشأة عموما بمعزل عن تأثير الرّواية الأوروبية بأشكال مختلفة، إضافة إلى جذورها المشتركة عربيا.[3]

تكاد تُجمِع كل الدّراسات أنّ رواية "ريح الجنوب" للأديب "بن هدّوقة" هي الانطلاقة والبداية الفعلية لرواية جزائرية ناضجة باللغة العربية.[4]

رواية "ريح الجنوب" عمل أدبي جمع بين السّياسة والأدب، وذلك بتجسيد فكرة سياسية وهي الإصلاح الزراعي من خلال طبقات المجتمع التي عانت أثناء الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ولازالت بسبب الطبقة الإقطاعية.

---

[1] – واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية، بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 90.

[2] – صالح مفقودة، المرأة الجزائرية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2009، ط 02، ص 32.

[3] – عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخيا وأنواعا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 195.

[4] – منصور بوراس، البناء الروائي في أمال "محمد العالي عرعار الرؤية، الطموح، البحث عن الوجه الأخر، زمن القلب، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الأدب الجزائري، 2009– 2010، ص 11.

المطلب الثالث: نشأة الرّواية الجزائرية وتطوّرها

ظهرت الرّواية الحديثة الجزائرية متأخرة بالقياس إلى الأشكال الأدبية الحديثة مثل: المقال الأدبي والقصة والمسرحية، وتعوّد الناس قراء الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية إضافة إلى ظروف كثيرة أسهمت في جعل ما يُكتب باللغة القومية مجهولا إلى حدّ ما في التعريف باللغة الأجنبية في الجزائر.[1]

بدأت المحاولات الأولى للرّواية الجزائرية قبل السبعينات رغم كل الضغوطات الاجتماعية وما تنوء به من الإحساس بضرورة الخروج على الأجناس الأدبية المهيمنة والتّطلّع إلى عالم التجارب السّردية الجديدة حيث بدأ الكُتّاب يكيلون إلى نوع من التّأمل الذاتي والطّموح الجديد، فمثلا "رمضان حمود" (1906-1929م) طرح آراء جزئية حول مفهومه للشعر، وتميّز بمنظوره النّقدي من اجل التجديد والتفتح فنقد جريدة "البصائر" قائلا: "لا يمكن أن يتّسع صدرها لعموم جنونيات الأدب و"محمد العيد آل خليفة" بنموذجه الشعري الرّاقي.[2]

الرّواية العربية الجزائرية من مواليد السبعينات بالرغم من ظهور بذور بعد الحرب العالمية الثانية كقصة غادة أم القرى لصاحبها "احمد رضا حوحو" وقصة "الطالب المنكوب" إلى كاتبها "عبد المجيد الشافعي".[3]

انعكس التاريخ الثوري للشعب الجزائري على الأعمال الأدبية الشعرية بصورة خاصة، أما في الرّواية فيمكن أن تعدّ أوّل عمل روائي في الجزائر هو "حكاية العشّاق في الحب والاشتياق" لـ"محمد بن إبراهيم" ويدعى الأمير مصطفى، وهي أول عما قصصي انعكست فيه نتائج الحملة الفرنسية على الجزائر.[4]

أثّر التاريخ الجزائري أيام الثورة المسلّحة ضد المستعمر على الإنتاج الأدبي، حيث يرى الكاتب "واسيني الأعرج" أنّ الأحداث السياسية لها علاقة مباشرة في إفراز ثقافي معيّن تجلّت فيه كل التناقضات التي عاشتها الحركة وعاشها المجتمع الجزائري، وساعدت هذه الأحداث في تحديد مختلف الاتجاهات الفنية في

---

[1] – عبد الله ركبي، تطوّر النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتابة، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1978، ط 01، ص 198.

[2] – إدريس بودين، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2011، ط 01، ص26.

[3] – عبد الله ركبي، تطور النثر الجزائري، ص 199.

[4] – عمر بن قينة، دراسات في القصة الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، د ط، ص 17.

الرواية الجزائرية ذات التعبير الغربي، وخلقت واقعا أدبيا ناتج عن الظروف السياسية والتاريخية في الفترة الممتدّة ما بين 1945- 1954م، إلى سنة 1962م.[1]

نشأت الرواية الجزائرية في ظل الوضع الاجتماعي والسياسي المظلم للشعب الجزائري، باعتبار هذا الفن الأدبي كغيره من الفنون لا ينبت في الفضاء لابد من تربة خصبة ويعي وجود نضج ووعي يساهم في تطوير هذا الفن.[2]

تأخّر ظهور الرواية الفنية لعوامل عديدة منها أنّ الكتّاب الجزائريين اتّجهوا إلى القصّة القصيرة لأنها تعبّر عن واقع الحياة اليومية خاصة أثناء الثورة، أما الرواية فهي تعالج قطاعا من المجتمع رحابة واسعة وتطلّب لغة مرنة قادرة على تصوير بنية كاملة وعدم وجود نماذج روائية يقلدونها الكتاب".[3]

صحيح أنّ الرّواية شهدت عدّة ظهورات قبل فترة السبعينات، لكنها لم ترق لكونها رواية ناجحة حتى بداية السبعينيات، فهي بمثابة المرحلة الفعلية التي شهدت القفزة الحقيقية للفن الروائي، فظهرت أعمال روائية مثل: "ما لا تذروه الرياح" لـ"محمد عرعار" 1792، و"ريح الجنوب" لـ"ابن هدّوقة" 1970، وغيرها، ومن هنا بدا النّقاد في الجزائر والمشرق ينظرون بجدّية إلى عناصر التّفوّق التي طبعت أعمال الروائي "الطاهر وطّار".[4]

فظروف نشأة الرواية الجزائرية شبيهة بالظروف التي نشأت فيها الرواية في الوطن العربي شرقه وغربه، سواء في نشأتها الأولى المتردّدة في انطلاقتها "الناضجة" ولم تأت هذه النشأة عموما بمعزل عن تأثير الرواية الأوروبية بأشكال مختلفة إضافة لجذورها المشتركة عربيا.[5]

---

[1] – واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، د ط، ص 43.

[2] – صالح مفقودة، أبحاث في الرواية الجزائرية، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ص 15.

[3] – عبد الله ركيبي، تطور النثر الحديث، الدار العربية للكتابة، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1978، ص201.

[4] – إدريس بودبية، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطّار، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2011، ط 01، ص41.

[5] – عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 159.

يمكن القول أنّ فترة السبعينيات (1970- 1980) عقد الرواية الجزائرية العربية، فقد شهدت هذه الفترة وحدها ما لم تشهده الفترات السابقة من تاريخ الجزائريين من إنجازات سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو ثقافية، وكانت الرواية تجسيد لذلك.

وقد ظهر روائيون صوّروا الواقع بحذافيره أمثال "الطاهر وطّار" و"بن هدّوقة"، هذه الروايات عبارة عن أدب جزائري صميم خدم السياسة والوطن.

تطوّر الرواية الجزائرية:

طرأت على الرواية الجزائرية عدّة تحوّلات وتغيّرات ساهمت في بلورتها وتطوّرها، وقد تأثرت بروايات الشرق والمغرب، ويعود ظهورها إلى الفترة الاستعمارية وامتدّت إلى ما بعد الاستقلال.

1- قبل الاستقلال:

إنّ الظّروف التي ساهمت في ميلاد الرّواية العربية هي نفسها التي عزّزت ميلاد الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، وأسهمت في بلورة اتجاهاتها، فقد استطاع "محمد ديب" ورفاقه أن يجعلوا من اللغة الفرنسية لغة تساعدهم على التعبير عن تلك الشخصية الجزائرية بأفكارها وقيمها وتقاليدها التي أرادت فرنسا أن تسلبها منهم.[1]

جاءت الرواية الجزائرية نتاجا للصراع القائم بين الشعب الجزائري والمستعمر الفرنسي، فالإحاطة بالجوانب السياسية لها الدّور الرئيسي في ظهور الرواية الجزائرية واكتمال معالمها، ومن لضروري اللجوء إلى بعض العمليات المنهجية البسيطة التي يمليها البحث الأدبي، وهي تقسيم هذه الفترات التاريخية المتمثّلة في حلقات مترابطة في سلسلة واحدة رئيسية هي التاريخ.

كان لهذه الفترات الثلاث الدور الحاسم في بلورة الوعي الجماهيري واستقلال الجزائر وتحديد هوّيتها وهوية الاتجاهات الروائية في الآن ذاته.

أولها: مرتبطة بثورة الفلاحين سنة 1871ملتي كانت لها مساهمات عظمى ف تشكيل الفكر الاشتراكي في الجزائر.

[1] – واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 226.

ثانيها: لها صلة بانتفاضة 1945م الجماهيرية التي أيقظت الإحساس القومي لدى الشعب يقتنع بأنّ الاستعمار مهما كان حضاريا سيبقى يهدف إلى تذليل الشعب الجزائري وتركيعه، فد ظهرت في هذه المرحلة أوّل رواية مكتوبة باللغة العربية "غادة أم القرى" ا."أحمد رضا حوحو" 1947.

أما الفترة الثالثة والأخيرة تتمثّل في دخول الحركة الوطنية في نهج جديد أدّى بها إلى تجميع كل قوّتها الممزّقة، هذا التّصرّف الذي استثمره للتفرقة بين الجماهير الشعبية والحركة الوطنية لعدّة سنوات، إذ شهدت هذه الفترة قفزة نوعية وكميّة في الرّواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، في حين لم تظهر فيه إلا روايتان باللغة العربية "الطالب المنكوب" لـ"عبد المجيد الشافعي" 1961" و"الخريف" لـ"نور الدين بوجردة" 1957م.[1]

يرجع بعض النّقاد ظهور الرّواية الجزائرية إلى تاريخ لاحق هو عام 1951م، حيث صدرت رواية "الطالب المنكوب"، وهي رواية رومانسية في أسلوبها وموضوعها، وساذجة في طريقة التعبير، ومنذ هذا التاريخ لم تظهر أي رواية عربية جزائرية إلى في عام 1967م، وقد يرجع سبب تأخرها إلى الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي وإلى صعوبات الطّباعة والنّشر وغيرها.[2]

نشهد رواية "ريح الجنوب لـ"عبد الحميد بن هدّوقة" على سمو الرواية الجزائرية مع بداية السبعينات، وتظهر قيمتها في كونها أسست اتجاه كتابة الرواية الجزائرية الذي يميل إلى التجسيد الواقعي لأحوال المجتمع الجزائري، فرصدت هموم الفلاح ومشاكله، وظهرتإلى جانب هذه الرّواية روايات أخرى منها "طيور في الظّهيرة" لـ"مرزاق بقطاش" و"الموت في الزمن الحراشي" لـ"الطاهر وطّار"... فالروايات الجزائرية إذن نشأت وهي تتّكئ على الواقع المعيشي سياسيا، اجتماعيا واقتصاديا لتعتبر "ريح الجنوب" 1970م و"اللاز" 1972م خطوة فنية نحو التطوّر لتأسيس رواية جزائرية بلسان الأمة والوطن، تعبّر عن الحياة الثقافية والأدبية، وعن واقع وقضايا ومواقع في مستويات أدبية فنية مختلفة.

كما شهدت الرّواية الجزائرية في فترة التسعينات تراكما فنّيّا ساهم في ظهور جيل الشباب الذي اقتحم الكتابة الرّوائية وأراد أن يُزاحم بنصوصه الرّوائية[3]، فتميّز الاحتلال الفرنسي للجزائر بفترتين:

---

[1] – واسيني الأعرج، اتجاهات الرواة العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 18– 19.

[2] – لينة عوض، تجربة الطاهر وطار الروائية (بين الإيديولوجية وجمالية الرواية)، أمانة، عُمان الكبرى، د ط، ص ص 9– 25.

[3] – بن قينة عمر، في الأدب الجزائري تاريخا وأنواعا وقضايا وإعلاما، د ط، ص 240– 241.

الأولى: فترة الاحتلال العسكري المبني على الاستيلاء على الأرض الجزائرية وسكانها وخيراتها.

الثانية: تميّزت بالتخطيط للاحتلال الرّوحي والثقافي، وتبدأ بزيارة لجنة مجلس الشيوع الفرنسي التي يترأسها "جول فيري"، وكانت مهمّتها القضاء على الشخصية الإسلامية الجزائرية، وهو ذلك بتعليم اللغة الفرنسية وخلق جيل جديد يدافع عن الثّقافة الفرنسية، إذ كان موقف الشعب الجزائري ضدّ التعليم بالفرنسية، وظهر تحرّك سياسي جعل الشباب الجزائري يدافع بحماس عن لمطالبة بالمواساة مع الفرنسيين وعدم فكرة الإصلاح الديني الذي بدا يظهر في الشّرق للقضاء على التنظيم الديني الممثل في الزّوايا وعندما وقف الشعب الجزائري ضدّ قانون التّجنيد 1911م، وعدّه منافيا للدّين، استغلّته هذه الشبيبة واعترفت به وطلبت عوضه التّمتّع بالحقوق الفرنسية، فحركة الشبيبة الجزائرية عادت إلى الظّهور لتؤكد على ضرورة الدخول في العائلة الفرنسية بأي وجه كان، والشّيء الجديد هو ظهور الأمير خالد الذي نشر الحماس في أوساط الجماهيرية التي كانت تنتظر من يأخذ بيدها سيما انه ينسب إلى الأمير عبد القادر، وهو أوّل من وقف بجانبها، وهذا التيار المنسوب للمحافظين بدأ يسمى "امحمد بن الرجال"، وازدهر على يد الأمير خالد واستجاب له الشعب كأنه لمس شعوره الديني وحينما انفرط من طرف الشخصيات التي كانت تضمنه ونفي الأمير خالد إلى سوريا وبقي اسمه رمزا للوطنية والتضحية.[1]

الثورة المسلّحة التي خاضها الجزائري ضدّ الفرنسي كانت ثورة شعب بأكمله، تأثر بها جميع أفراد الشعب الجزائري بشكل أو بآخر، سواء بالمشاركة المباشرة فيها أو بوقوعه ضحية لأحد الطرفين المتجاورين وإنّ الاختلاف الغائب بين صفوف الشعب برز عدد من السياسيين والمسيّرين للثورة خصوصا بين القادة السياسيين حول مقوّمات المجتمع الجزائري والنهج السياسي والإيديولوجي الذي تبناه.

فرواية "اللاز" لـ"الطاهر وطّار" تكشف عن شكل من أشكال الصّراع الجزائري وأثر ذلك عليه إذ سيعطي الاعتبار لذاته.[2]

فالجزائر هي أوا وطن مغربي تستعمره فرنسا لأهداف سياسية واقتصادية، إلا أنّ هذا الاستعمار قوبل بمقاومة عنيفة من قبل الفلاحين الذين انظمّوا إلى الأمير عبد القادر بعد سقوط إقليم قسنطينة، وقد عاشت الجزائر أربعين عاما من 1830 إلى 1870م، وهي ساحة حرب، إلا أنّ هذه المقاومة متضائلة عندما تسلّحت القيادة القنوات الفرنسية لـ"بيجو" ممارسا سياسة وحشيّة وتخريبية إزاء الجزائريين وممتلكاتهم وموارد عيشهم، والخطوة

[1] – محمد قنانش، في الأدب الجزائري تاريخيا وأنواعا وقضايا وأعلاما، د ط، 240– 241.

[2] – حكيم أومقران، البحث عن الذات في الرواية الجزائرية لطاهر وطار، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص 52.

الأولى لسلخ الجزائريين عن هويتهم الوطنية قد زادت عمليات مصادرة الأراضي واحتجازها، وتم استصدار القانون المدني الذي فتح ملكيات الأراضي القبلية الجماعية ليتاح للتجار أن يشتروها، وعملت الإرادة الفرنسية على أن تصب في هذه الأراضي ما تخص به أوروبا من فقراء الفلاحين الفرنسيين وأسكنت البلاد العمال الفرنسيين العاطلين، وأطلقت عليهم المعمّرين وتعد دستور 1848م ضربة كبيرة وُجِّهت لعروبة الجزائريين بتقرير أنّ الجزائر جزء لا يتجزّأ من فرنسا وخضوع الجزائر للدّستور الفرنسي تم إلغاء التشريعات الإسلامية واحتكم إلى القانون المدني الفرنسي وأصبحت التعاليم الإسلامية تمارس ضمن قيود شديدة، وعملت السلطات الفرنسية على تشويه الهوية الوطنية والقومية، ومنعت تدريس اللغة العربية وركّزت على تأهيل عدد من الأشخاص أشباه المتعلّمين لاكتسابهم جزءً من الثقافة الفرنسية ليكونوا عونا لها، كما عمدت الإدارة الفرنسية إلى بعض رجال الدين لتنشر بواسطتهم أنواع الخرافات التي تفرق بين الناس، وعمدت إلى تقسيم الشعب وتفضيل فئة عن أخرى حتى ظنّ الفرنسيون أنهم نجحوا في تفتيت المجتمع الجزائري، إلا أنّ الوقفة على الأدب والفلكلور البربريين بيّن عكس ذلك، إذ نجد تصويرا لولادة شعور وطني إسلامي عند البريد بعد تحطيم النظام القبلي.[1]

بدأت محاولات المستعمر في تشويه وطمس هوّية الجزائريين تواجه مقاومة واعية غير معلنة تمهّد لفعل ثوري عسكري، فقد لعبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أسّسها "عبد الحميد بن باديس" دورا كبيرا في إعلاء المفهوم الوطني، وتأكيد عروبة الجزائر، وعُدّت هذه الحركة الأدبية إلى جانب تأسيس حزب الأصدقاء ، البيان والحرية بقيادة "فرحات عباس" الذي ضم أعضاءً من كافة الاتجاهات الفكرية.[2]

حملت هذه الأحداث تحوّلات عميقة على المستوى الفني والأدبي، فمعظم الجوانب التي سادت قبل الاستقلال لها دور رئيسي في ظهور الرّواية الجزائرية واكتمال معالمه، فالرواية الجزائرية نتاج الثورة الوطنية وإرهاصاتها وتجسيد للوعي مثلا رواية "غادة أم القرى" ."أحمد رضا حوحو" استطاعت أن تهزّ عرش الشعب الحماسي، فمن الأحداث التي أسهمت في بلورة وعي الشعب الجزائري الحركة الوطنية بكل توجّهاتها السياسية الثقافية.

[1] – لينة عوض، تجربة الطاهر وطار الروائية (بين الإيديولوجية وجماليات الرواية، أمانة عُمان الكبرى، 2003، د ط، ص05– 10.

[2] – المرجع نفسه، ص 12– 14.

وكان ذلك بمثابة اللحظات الحاسمة التي اتّخذ فيها الطلبة الجزائريون موقفهم الخالد من الثورة المسلّحة الوطنية، حيث أنّ أوّل حركة ظهرت مكتملة "نجم شمال إفريقيا" التي نشأت في مارس ومؤسسها الحاج "علي عبد القادر"، وقد استطاعت هذه الظّروف بكل أجوائها وتناقضاتها أن تعزّز اتجاهات فنية متباينة، وكان العمل السياسي الذي يجمعها هو التّحرر الوطني واستقلال الجزائر.[1]

الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية:

إنّ الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية انتعش انتعاشا واضحا وساعد الأدباء الجزائريين الذين يكتبون باللغة العربية زيادة على الأجواء الثورية التي فرضها عليهم الواقع، واستفاد بعضهم من الكتابات الفرنسية ومن بينهم 'أحمد رضا حوحو"، إذ دخلت على الأدب الجزائري موضوعات جديدة منها قضية المرأة التي غادرت البيت ووقفت بجانب الرّجل مناضلة، وقد استغلّت اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة العربية كسلاح وجّهه كتّاب ومناضلون إلى صدر المستعمر، كما أصبح الأدب الناطق باللغة الفرنسية ذا بعد إنساني عظيم عندما أعطى الأولوية والصدارة للمسألة الوطنية التي تعتبر جزء لا يتجزّأ من كيانه، غير أنّ هناك فرق بين مكاتبه جزائريون وفرنسيون، وإن كان بلغة واحدة وبيئة واحدة، ويتمثّل هذا الفرق في الرواية وهذا لا يعني أبدا أننا نفكر للخصائص الإنسانية التي زخر بها الكتّاب الفرنسيون الموجودين في الجزائر، فقد كان معظم الكّتّاب الجزائريين معجبين كل الإعجاب بالحضارة الفرنسية.[2]

فنجد من بين الروائيين الذين كتبوا باللغة الفرنسية "محمد ديب" في رواية "الخريف" و"مولود فرعون" "نجل الفقير" و"الأرض والدّم" و"الدّروب الوعرة"، وكذلك نجد "مولود معمري" برواية "الرّبوة المنسيّة" وغيرهم أمثال "كاتب ياسين" "نجمة، ومالك حداد برواية التلميذ والدس، وآسيا جبار من خلال رواية "العطش".

2- بعد الاستقلال:

سعت الرواية الجزائرية في السبعينات إلى تجسيد الصّراع بين التيار الاشتراكي والتيار الإسلامي، ويظهر الدين في سائر الأعمال بحيث يؤوله بما يتماشى مع أهدافه السياسية، فنجد بعض العمال منها أعمال الطاهر وطار ذهبت إلى نقل الخطاب السياسي باستعمال الشعارات الدينية والآيات القرآنية مما

[1] – واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 35- 44.

[2] – واسيني العرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 40- 41.

يجعلها في الكثير من الحيان عرضة للمباشرة والتقريرية وانّ الكثير من جيل السبعينات الذين جرّبوا كتابة القصة الفقيرة ثم الرّواية تأثّروا بـ"الطاهر وطّار" بوصفه الأديب الممثل للنموذج الاشتراكي الواعد.[1]

ففي الوقت الذي استقلّت فيه الجزائر ساد التقاطب بين النّظام الرأسمالي والنّظام الاشتراكي، وقد اختارت الجزائر الانحياز إلى المعسكر الاشتراكي، فبدأت الأفكار الاشتراكية تتسرّب إلى العقول، وأدّى هذا الوضع إلى انتقال حرب الطّليعة الاشتراكية من نشاط سرّي إلى نشاط علني، ونشطت حركة الإخوان المسلمين مستفيدة من المكانة السياسية، ومن الإرث الذي خلقته حركة الإصلاح في الجزائر وفي مقدّمتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هذا بأشكال متعدّدة كان منها التشكّل الأدبي، وبما أنّ التيار الإسلامي قد اتّجه نحو الشعر فإنّ أنصار التيّار الاشتراكي هم الذين برزوا في كتابة الفن القصصي وفي تجريب الكتابة الرّوائيّة.[2]

ظهرت الرّواية في الأدب الجزائري في بدايتها الأولى مكتوبة باللغة الفرنسية بسبب الظروف التاريخية التي سادت الجزائر، ومنابع الثقافة الفرنسية التي استقى منها بعض كتّابنا، بالإضافة إلى تشجيع النّقاد الفرنسيين لهم، فالرواية الجزائرية لم تظهر إلا في بداية السبعينات، فيمكن اعتبارها ثمرة للتّغيرات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي أحدثت تحوّلات عميقة في جميع الميادين حيث بدأت ثورة البناء بالنشيد وتمجيد الثورة الزراعية.

كما ظهرت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية مع بداية السبعينات وتعتبر رواية "ريح الجنوب" لـ"عبد الحميد بن هدّوقة" أوّل رواية جزائرية فنّيّة تبرز قيمتها في كونها أسست لاتجاه كتابة الرواية الجزائرية التي تميل إلى التّجسيد الواقعي لأحوال المجتمع الجزائري ، فرصدت هموم الفلاح الجزائري ومشاكله مع الأرض، إلى جانب رواية "العشق والموت في زمن الحراشي" لـ"الطاهر وطّار" وهي تصف في بدايتها الطلبة المتطوّعين وهو ينادون بالثورة الزراعية ويشرحون أهدافها على الفرد والمجتمع، والمهم أن تزول أحكام الثوريين المسبقة ضدّ بعضهم، وأنّ شكل جبهة حقيقية من كل من يؤمن بالثورة الزراعية.

هكذا راح الشعب الجزائري يفتخر باستقلاله ويعتز بذاته لردعه لأقوى مستعمر في العالم، مما جعله قبلة لكل ثوار العالم الثالث الذي لا يزال تحت سيطرة الاستعمار، بل راح أيضا يبني ويستبد مجتمعه الجديد.

---

[1] – عبد الحميد بن هدوقة، الملتقى الدولي التاسع للرواية، دار هومة، الجزائر، ص 176.

[2] – المرجع نفسه، ص 174– 175.

كما ظهرت بعد الاستقلال رواية "صوت الغرام" لـ"محمد منيع" إذ إنّ أغلب الروايات التي ظهرت في هذه الفترة هي روايات واقعية، لأن الكتّاب وجدوا في هذا النوع الأدبي سبيلهم لدراسة الوسط الاجتماعي الجزائري، فاستمدّوا مادّتهم من الأحداث الرّائدة حولهم.[1]

[1] – حكيم أومقران، البحث عن الذّات في الرواية الجزائرية ل،الطاهر وطّار، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص 73– 75.

المبحث الثاني: مفهوم الواقعية كمذهب أدبي

المطلب الأوّل: مفهوم الواقعية كمذهب أدبي

مع أنّ المذهب الواقعي يبدو سهل التعريف من التسمية أو بمعنى أدقّ يبدو واضح المعالم ظاهري من حيث اشتقاق تسميته من الواقع، لتدل عليه أو يدل عليها، "فإنّ الملامح الأساسية التي تحدّد عناصره كمذهب يحتاج تفقّد خصائصها الجزئية المميّزة.

فمنذ ظهور المصطلح النقدي للواقعية في منتصف القرن التاسع عشر في أوروبا، ليدلّ على المحاكاة الأمنية لا على الأعمال الفنية الكبرى"، وإنما لأصولها إلى تقدّمها الطبيعي"[1]، وحتى الآن قد تعدّدت الآراء مفهومه وما يمكن أن يدل عليه في مجال الإبداع الفني والأدبي على حدّ سواء.

والواقعية تشترك مع بعض المذاهب الأخرى في الهدف كما أنها كانت ردّة فعل مضاد لتيار الكلاسيكية الرومانسية"، فقد كان السبيل في ظهور وتطوّرات واتجاهات تفرّعت عنها في محاولة لتقديم الواقع من منظور مختلف"، ولا شك أنّ للواقعية كمنهج أدبي ذهب متكامل العناصر والأدوات، كما انه يعدّ ثالث المذاهب الأدبية الكبرى، وهي الكلاسيكية والرومانسية والواقعية.

فهي تبحث في الحقيقة والواقع، فتمثل الحقيقة في كلمة واحدة وذلك رغم فارق المعنى الكبير بين الكلمتين؛ اللغة العربية إذا سلّمنا جدّيا بأنّ لحقيقة لا يكون لها وجد إلا في حضور الواقع الملموس، وهو ما يسوق مادية علمية وتجريبية بحتة تعجز عن تفسير كثير من الحقائق المحسوسة، فالواقع حقيقة وليس بالضرورة تكون الحقيقة واقعا، بل لقد أثبت العلم الحديث أنّ الكثير من مظاهر الواقع زائفة، سواء الواقع الملموس أو النفس البشرية وأهواءها.

ويفرّق "بلزاك" بين الحقيقة في الطبيعة والحقيقة الأدبية فيقول "الأول غالبا ما تكون غير معقولة، إن الكاتب إذا أن يؤلف مع الحقيقة، وأن يستعير من نماذج مختلفة، وأن يستعير من نماذج مختلفة، وأن يشيّد بناءً جديدا يحمل طابعا عبقريا كفنّان"[2]، فالكاتب لا يمكنه أن ينقل الحقيقة الواقعية نقلا حرفيا عن الواقع، إذ غدّها

[1] – حلمي بدير، الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر، ط 01، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002، ص 11– 12.

[2] – المرجع نفسه، ص 13.

في ظاهرها لن تثير في النفس إلا مشاعر الأشياء والضجر، فليس هناك معنى لتكرار الصور المعروفة للجميع بوسائل تعبير مختلفة.

المطلب الثّاني: أنواع الواقعيّة

أ- واقعية المحاكاة:

هي أبسط مظاهر الواقعية وأكثرها سذاجة، وتبدو فيها ظاهرة الانعكاس أكثر وضوحا وعمومية، حيث تزداد نسبة المعروض على سطح المرآة العاكسة من الواقع وهي تعتمد اعتمادا كبيرا من حيث المضمون واقع الحدث المستمر دون ما يمكن، الحدوث أو ما يحدث، فهي تعتمد على التفاهة اليومية طريق الملاحظة الدقيقة والاستغراق في وصف ظاهرة الناس والأشياء، إذ تكتفي بوصفها للأشياء والناس كما هم في الظاهر مستعينة في هذا بعلم اللغة، مطورة لأساليبه الدقيقة في الوصف والسرد، وتكوين الجمل المعبّرة عن الواقع الحي الملموس.[1]

وهذا النّوع اعتمد في نشأته على إظهار جوانب من الواقع رفضتها الكلاسيكية ونأت عنها الرومانسية الأولى بحكم انتمائها الطبقي والثانية بحكم اتجاهها الشاعري الحاكم.[2]

وواقعية المحاكاة مرتبطة بظهورها ومرحلة تطوّرها الأوّلِى، قبل أن يستفيد من التّطوّر العلمي والفكري والاجتماعي، فهي ترفض المشهد الغريب غير المنطقي في سلوك شخصياته، وكذلك تبتعد عن كل ما هو غير موجود في الحياة اليومية، فهي لا تقدّم من الشخصيات سوى المألوف منها ، ليجد أي قارئ نفسه في الكثير من المواقف أبطال هذا النوع، فلا شك أننا نلتقي كل يوم بـ"أوليفار توسين" أو "دافيد كوبرا" وحتى "روكس" مع اختلاف طفيف قد يرجع لاختلاف البيانات، ومع أهمية هذا التطوّر من الاتجاه الواقعي والذي يلزم على تصوير الواقع كما هو فيه قبح وجمال.

ب- الواقعية النقدية:

لا يكاد يذكر النّقاد شيئا عن الفرق بين واقعية المحاكاة والواقعية النقدية حيث تعرف أحيانا كثيرة بالواقعية الغربية في مواجهة الواقعية الاشتراكية التي ظهرت وتتبّتها الثورة الروسية، والسبب كما سبق الذكر

[1] – حلمي بدير، الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر، مرجع سابق، ص 17-23.

[2] – سلمى مرزوق، الرومانسية والواقعية النقدية، أصولها الفنية والفلسفية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، د تن ص 103.

يرجع إلى أنّ "واقعية المحاكاة ليست في ذاتها مجرّد تصوير فوتوغرافي وانعكاس لواقع الحياة"[1]، ولكن هي دائما شيئا مضافا وراء عملية الاختيار، أي اختيار الشخصيات واختيار للحدث واختيار للمكان والزمان ثم اختيار التفاصيل وتركيزه على جوانب دون غيرها من منطق أن أي كانت لا يمكنه وصف كل شرع مهما كانت قدرته على الملاحظة ومهما اتّسع أمامه الوقت.

ونظرة الواقعية النقدية للحياة لا تظهر سوى الجانب المعتم لها، وهو الجانب الذي يظهر الشر، القبح والتشاؤم باعتباره السبب المباشر وراء الفقر والجهل وكافة الأمراض الاجتماعية التي تفتح عين الناقد عليها، "طالما كانت تنفر الواقعية من المثالية التي ترى فيها تصوّرا أقرب الرومانسية الخيالية منها لوقائع الحياة"[2]، انها ترفض ما هو غير منطقي ذلك أنّ جانبا كبيرا من المثالية ينبع من التفاؤل الحقيقي مع قضايا البيئة والإنسان.

فالكاتب الواقعي الذي يرى الواقع بوضوح ومن منظور متفائل وأكثر عمقا لابد وأن تتهيّأ له الوسيلة التي يستطيع من خلالها نقل أفكاره إلى قارئه، ولابد أن تتوفّر به الألوان الواقعية التي تساعده على وضع الخطوط لعلمه، ولابد أن يجد الكلمة دالة دون غيرها عن شيء ما او حالة ما أو وضع ما، ولهذا كان معجمه يختار من كتّاب الكلاسيكية والرومانسية، وهذا المعجم اللغوي استقى معظمه من الحياة اليومية ولسن الإنسان العادي.[3]

ج- الواقعية الاشتراكية:

إذا كان "زولا" في المنهج التجريبي العلمي خلاصة ما يجب الأخذ به عند تحليل الواقع ومادة تكوينه أنّ الواقعية الاشتراكية قد وجدت في العامل المادي من إنتاج وعائد وجها آخر بل هو الوجه الوحيد في نظره التفسير حركة المجتمع والواقع[4]، فقد وجدت في البيئة الاقتصادية أهم عوامل السلوك البشري الاجتماعي، مع أنّ هذا المصطلح الذي يعدّ تطوّرا من الناحيتين التاريخية والفنية للمذهب الواقعي، فقد أعلن عنه رسميا المؤتمر الأول للكتاب سنة 1934م، إلا أنه من الناحية التاريخية لم يزدهر مع هذا التاريخ، ولم تتحدّد

[1] – حلمي بدير، الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر، ص 25- 26.

[2] – حلمي مرزوق، الرومانسية، الواقعية النقدية، الواقعية الاشتراكية، المرجع السابق، ص 115.

[3] – حلمي بدير، المرجع السابق، ص 33.

[4] – سلمى بدير، الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر، ص 32—34.

معالمه كمصطلح أدبي منذ ذلك الوقت، ولكن الاتجاه يجد بذوره لدى "تولستوي" و"جوجول" و"جوركي"، بل إنّ "لوكاتش" يرى "بلزاك" اتجاها على هذا النّحو.

فهي تتميّز بكل خصال الواقعية الأوروبية التي سلفت، ومهما احتجّت هذه الواقعية بوجودها في قضايا الإنسان، ومهما قيل من آثارها البعيدة في ردّ الإنسان عن شنائعه وبشائعه بوضعها أمامه هكذا صريح عارية، ومهما اعتصمت هذه الواقعية، بدعوى الفن للفن التي اصطنعها ""تبوفيل جوتييه" للنّقاد والمدافعين من قبل هذه النزعة وفي الدّفاع عنها، فإن الواقعية الاشتراكية لم تصمد أمام هذه الحجج والبراهين أخذتها بكل ذلك شديدا[1]، والواقعية الاشتراكية نهدف إلى إبراز مساوئ النظم الرأسمالية وبؤس العمّال والأجراء وما يلاقونه من استغلال واستعباد، وتهرؤ المعطيات الرأسمالية للحياة وإفلاس مبادئها، ولهذا فإن منظورها محدّد بالقيم الاقتصادية الاشتراكية التي ترفض نتائج الفكر البرجوازي.

كما أنها ترفض الفن الشعبي في الرّأي، فيثير على اعتباره عنصر أساسي من عناصر الرومانسية تبحث عن وحدة مفقودة بين الفرد والجماعة، وباعتبار أنّ الفن الشعبي هو نتاج جماعي لمؤلّف واحد هو الشعب وهو مؤلف بلا فردية ولا وعي، وقد أكّدت على ضرورة الالتزام والأخذ بالموقف الإيديولوجي للاشتراكية نظرا لعدم إمكانية الحكم على حالة من الحالات دون الاشتراك فيها وفي حالة الاشتراك فيها يصبح جزءً منها داخلا في تفاصيلها، فلا يمكنه اتّخاذ الدائرة الناجمة عن الالتزام بموقف هو المنفذ الذي يتسرّب منه أعداء الواقعية الاشتراكية في محاولة لصدّها.

أثّر التاريخ الجزائري أيام الثورة المسلّحة ضد المستعمر على الإنتاج الأدبي، حيث يرى الكاتب "واسيني الأعرج" أنّ الأحداث السياسية لها علاقة مباشرة في إفراز واقع ثقافي معيّن تجلّت فيه كل التناقضات التي عاشتها الحركة الوطنية وعاشها المجتمع الجزائري، وساعدت هذه الأحداث في تحديد مختلف الاتجاهات الفنية في الرواية الجزائرية ذات التعبير العربي، وخلقت واقعا أدبيا ناتج عن الظروف السياسية والتاريخية في الفترة الممتدّة ما بين 1945م و1954م إلى سنة 1962م.[2]

[1] – حلمي مرزوق، الرومانسية، الواقعية، الاشتراكية، مرجع سابق، ص 116.

[2] – واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 43.

نشأت الرّواية الجزائرية في ظل الوضع الاجتماعي والسياسي المظلم للشعب الجزائري باعتبار هذا افن كغيره من الفنون لا يبين في الفضائل بل لابد من تربة خصبة، ويعني وجود وعي ونضج يساهمان في تطوير هذا الفن.[1]

تأخّر ظهور الرواية الفنية لعوامل عديدة منها أنّ الكتّاب الجزائريين اتّجهوا إلى القصّة القصيرة لأنها تعبّر عن واقع الحياة اليومية خاصة أثناء الثورة، أما الرواية فهي تعالج قطاعا من المجتمع رحابة واسعة وتطلّب لغة مرنة قادرة على تصوير بنية كاملة وعدم وجود نماذج روائية يقلدونها الكتاب.[2]

يمكن القول أنّ البدايات الحقيقية للرواية الجزائرية العربية كانت بداية السبعينات، فهي بمثابة المرحلة الفعلية التي شهدت القفزة الحقيقية للفن الروائي، فظهرت أعمال أدبية روائية مثل: "ما لا تذروه الرياح" لـ"محمد عرعار" 1972م و"ريح الجنوب" لـ"عبد الحميد بن هدّوقة 1970م و"اللاز" لـ"الطاهر وطّار" 1974م بالإضافة إلى رواية أخرى أخذت ذات الأهمية وهي "الزلزال" 1974م، ومن هنا بدأ النّقاد في الجزائر والمشرق ينظرون بجدّية إلى عناصر التفوّق التي طبعت أعمال الروائي "الطّاهر وطّار.[3]

المطلب الثالث: الرّواية والواقع

إذا كان الفن بوجه عام مرآة للعصر وترجمان ظروفه[4]، أي انه على ارتباط وثيق بالحياة، فإن الرّواية تعدّ أكثر أنواع الفنون التصاقا بالحياة وبالواقع الاجتماعي، ذلك لأنها اهتمّت ومنذ نشأتها الأولى بتصوير حياة الإنسان بجوانبها المختلفة، واصفة ما يطرأ عليها من تغيّرات، فكل مرحلة يعيشها المجتمع تقرر نمطها الروائي الخاص بها، وهو ما أدّى إلى انتفاخها ورفضها لجميع أشكال القيود، وهي كما أوضح "باختين" النّوع الأدبي الذي مازال قيد التشكيل، ولذا فغنها تعكس بشكل أساسي وبعمق ودقّة وسرعة تطوّر الواقع نفسه، وما هو قيد التشكيل يستطيع وحده أن يفهم ظاهرة الصيرورة.[5]

---

[1] – صالح مفقودة، أبحاث في الرواية الجزائرية، منشورت مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ص 15.

[2] – عبد الله زكي، تطور النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1978، ض201.

[3] – إدريس بودبية، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطّار، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2011، ط 01، ص41.

[4] – عبده رجاء، فلسفة الالتزام الأدبي بين النظرية والتطبيق، طبع عصم جابر، نشر منشأة المعارف، الإسكندرية، ص 05.

[5] – حبار (مدحت)، النص الأدبي من منظور اجتماعي، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001، ص 20.

لهذا فقد رافقت الرواية جميع التطوّرات التي عرفتها المجتمعات في كافة الميادين، ذلك أنها قد ارتبطت في ظهورها الفعلي بالالتفاف نحو الواقع والعكوف عليهن وهو التفاف فرضته التحديدات الحضرية والحركة السياسية والتطوّرات الإيديولوجية.[1]

الرّواية وإن ارتبطت بالواقع وقامت برصد شتّى المظاهر الاجتماعية وحاولت محاكاتها فغنها لا تعمد إلى نقلها حرفيا، وإنما تحاول إعادة صياغته وتشكيله، فإذا كانت الحركة الاجتماعية معطى مباشرا وعياني موثق بالتاريخ فإنّ الرواية ليست كذلك وإنما هي بناء خاص وواقع آخر واقع مركّب من الواقع الأصلي المرجعي مضاف إليه الفن.

إذا كان العمل الأدبي يمتاز بوظيفته االتعيينية La Fonction de motntive وهي الوظيفة التي تحيل مباشرة على الأحداث والوقائع التي جرت وتجري في الواقع العياني، فإنّ الخطاب القصصي أو التخيّل بشكل عام يولد على مستوى الإيحاء Comotation دلالات جديدة، وهو ما يؤكد عليه الناقد "بيار زيما" Pierre. V. Zima ويدعو بذلك إلى ضرورة الفصل بين الدوال ومدلولاتها.[2]

فالرّواية ليست تجسيدا للواقع ولكنها فوق ذلك موقف من هذا الواقع، وهذا الموقف لا يمكن أن يتّخذ إلا بإعادة إنتاج الصراع الواقعي والإيديولوجي في النص.[3]

لأن الكاتب حين يحاكي الواقع المعاش يضمن الرواية الإيديولوجيا السائدة في المجتمع سواء أكان الكاتب يتبنّاها أو يعرضها، فإذا كان منسجما مع ما يسود الواقع الاجتماعي من أفكار ورؤى، فإنّ روايته تتضمن أيديولوجيا واحدة، أما إذا كان يتعارض معها فإنه يعرض ويصف إيديولوجية المجتمع، وإن كان يعرض ضمنيا وبأسلوب غير باشر موقفه الخاص المؤيّد أو المعارض لإيديولوجية المجتمع وهو ما يوضحه الباحث "حميد لحميدان" بقوله: "إنّ الإيديولوجيا في الرواية إذن تكون عادة متّصلة بصراع الأبطال بينما تبقى الرواية كإيديولوجيا تعبيرا عن تصرّفات الكاتب بواسطة تلك الإيديولوجيات المتصارعة نفسها.[4]

---

[1] – مفقودة صالح، صورة المرأة في الرواية الجزائرية، شركة الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2003، ص 191.

[2] – لحميداني جميد، النقد الروائي والإيديولوجيا (من سوسيولوجيا النص الروائي)، المركز العربي، بيروت، ط 01، 1990.

[3] – لحميداني حميد، النقد الروائي والإيديولوجيا (من سوسيولوجيا النص الروائي)، المركز العربي، بيروت، ط 01، 1990، ص 51.

[4] – المرجع نفسه، ص 37.

فالإيديولوجيا كما يذهب إلى ذلك نفس الباحث تدخل على عالم الرواية التخييلي كمكوّن جمالي يكون أداة في يد الكاتب يعبّر في النهاية بواسطة عن إيديولوجيته الخاصة، ولذلك فالرّواية باعتبارها إيديولوجية لا تتناسب إلا بواسطة ومن خلال الإيديولوجيات في الرواية.[1]

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى أنّ المقصود بالإيديولوجيا في هذا الإطار (علاقة الرواية بالإيديولوجيا) هي تلك الرؤية الشمولية التي أطلق عليها "لوسيان غولدمان Lucien Goldtman رؤية العالم La Vision du monde، وهي رؤية تتكوّن داخل جماعة أو طبقة معيّنة في احتكاكها بالواقع وصراعها مع الجماعات الأخرى.[2]

فالكاتب وهو يحاكي في الواقع يعكس ما لا يدع مجالا للشك طموحات وأحلام طبقة معيّنة قد ينتمي إليها أحد أنصارها وقد لا ينتمي، فيقتصر دوره على محاولة إبرازها وبلورتها، ومن ثمة توضيحها في ذهن القارئ.

والكاتب حين يحاكي الواقع فإن محاكاته له لا تنهض على التطابق أو النسخ ولكن على إعادة التوظيف، وهكذا يغدو الواقع أنموذجا Objet modèle يعمل المتخيّل الأدبي على محاكاته Objet copie دون السقوط في تكراره، فالعلاقة بين العالمين الواقع والمتخيّل مزدوجة قائمة في الوقت نفسه على المخالفة والمشابهة وعلى المطابقة والتحويل.[3]

وهوما يذهب إليه "أحمد لحسن" في قوله: "واهم ما يميّز الكتابة الروائية ظاهرة البعثرة لما هو خطّي وأفق في الواقع، وخلخلة منطق الثبات والسكون الذي يحكم أحداث الواقع المنجزة.[4]

فإذا كان الواقع يقوم على الثبات والانتظام فإن معطياته متى ما لامست النص الروائي فإنها تبعث في شكل جديد، وبدلالات جديدة غير تلك الدلالات التي اعتادت أن تدل عليها من قبل.

فالرواية كما يذهب إلى ذلك "محمود كامل الخطيب" تقدّم شبكة العلاقات الاجتماعية إياها، لكن لا يتم عبر مرآة مستوية بل عبر مرآة مقعّرة أو محدّبة أو عبر عدسة أو مصفاة أو عين أو مرآة لا خيال.[5]

---

[1] – المرجع نفسه، ص 66.

[2] – المرجع نفسه، .

[3] – الطريطر (دليلة)، مقوّمات السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص 173.

[4] – مفقودة صالح، صورة المرأة في الرواية الجزائرية، ص 60.

[5] – المرجع نفسه، ص 61.

الفصل الثاني

رواية ريح الجنوب

المبحث الأوّل: عبد الحميد بن هدّوقة وروايته

المطلب الأوّل: تعريف الرّوائي بن هدّوقة

ولد "عبد الحميد بن هدّوقة في 09 يناير 1925م بالمنصورة (ولاية برج بوعريريج)، بعد التعليم الابتدائي انتسب إلى معهد الكتابة بقسنطينة، قم انتقل إلى جامع الزيتونة بتونس، ناضل ضدّ الاستعمار الفرنسي، توفي في أكتوبر 1996م، تقلّد عدّة مناصب منها: مدير المؤسسة الوطنية للكتاب رئيس المجلس الأعلى للثقافة، عضو المجلس الاستشاري الوطني ونائب رئيسه.

علم الأدب العربي بالمعهد الكتاني بين 1954-1955م ثم التحق بالقسم العربي في الإذاعة العربية بباريس، حيث عمل كمخرج إذاعي، وبعد عودته إلى الجزائر عمل في الإذاعتين الجزائرية والأمازيغية ... أمه بربرية وأبوه عربي، مما أتاح له أن يتمتّع بتلك الخلفيتين اللتين تمتاز بهما الجزائر، وان يتقن العربية والأمازيغية بالإضافة إلى الفرنسية ... له مؤلفات شعرية ومسرحية وروائية عديدة ترجمت لعدّة لغات أكسبته نشأته في الأوساط الريفية معروفة وواسعة بنفسية الفلاحين وحياتهم، ما جسّده في عدّة روايات تناولتها الإذاعة العربية:

* الجزائريين المس واليوم، دراسة نشرت تحمل اسم وزارة الأخبار للحكومة الجزائرية المؤقتة 1959م.

* خلال جزائرية (مجموعة قصص) نشرت في بيروت عن دار الحياة سنة 1961.

* الأرواح الشاغرة (ديوان شعري صدر في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) سنة 1967.

* نهاية الأمس (رواية) صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975.

* بان الصبح: صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975.

* بان الصبح، صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980.

* الجازية والدراويش (رواية) صدرت في الجزائر 1983.

*النسر والعقاب (قصة للأطفال بالألوان، صدرت في الجزائر، 1985.غدا يوم جديد (رواية) في الجزائر 1992، في بيروت عن دار الأدب 1997.

والعديد من الأعمال الروائية للشاعر والأديب بن هدّوقة.

المطلب الثاني: ظروف كتابة رواية "ريح الجنوب":

أ/ الظّروف السياسية:

لكل رواية ظروف وأسباب أدّت إلى نشأتها أو ساعدت على ظهورها، سواء كانت هذه الظّروف سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية ... داخلية أو خارجية، فالرّواية هي هوّيّة لمجتمع ما، ورواية "ريح الجنوب" نشأت في فترة كان الحديث السياسي جاريا بشكل جدّي عن الثورة الزراعية، فأنجزها في 05نوفمبر 1971م، تزكية للخطاب السياسي الذي يلوح بآمال واسعة للخروج بالرّيف من عزلته ورفع الضّيم عن الفلاح ورفع كل أشكال الاستغلال للإنسان، وسرعان ما تكرّس ذلك الخطاب الطّويل الذي هلّل له الإعلام كثيرا في قانون الثورة الزراعيّة الصادرة رسميا في (08 نوفمبر 1971م)، ثم دخل التطبيق الفعلي فدشّن الرّئيس "هواري بومدين" في 17 جوان 1972م أوّل تعاونيّة للثورة الزراعية في قرية "خميس الخشنة" قرب مدينة الجزائر، ثم شرع في بناء القرى الاشتراكية (برمجة ألف قرية)، فكانت أوّل قرية يدشّنها "بومدين" القرية الاشتراكية في (عين نحالة) بتاريخ 17 جوان 1975م.[1]

موضوع الرّواية جاء نتيجة الخطاب الذي ألقاه "هواري بومدين" (كان بومدين يلقي خطابا على المواطنين، حيث يطلب مباشرة رأي المفكّرين والأدباء في موضوع الثورة الزراعية، فقد يناقضه البعض ولا يعمل برأي البعض، فكان "عبد الحميد بن هدّوقة" بعيدا عن المحيط، فاجتذبه مشروع الثورة الزراعية قبل أن يصير ميثاقا، كما راقته من دون شك الفكرة بملامحها الإنسانية للخروج بالرّيف من التّخلّف.[2]

ب/ الظّروف الاجتماعية:

إنّ قضية الثورة الزراعية كانت العامل في إنتاج الرّواية، فهي تطرح قضية الإقطاع والإقطاعيين في الجزائر ثم قضية الأجراء المسحوقين ماديا ومعنويا، كما تحاول الولوج في قضية المرأة؛ تعليمها وثقافتها.[3]

---

[1] – عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا، أنواعا، قضايا وأعلاما)، ص 198.

[2] – عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا، أنواعا، قضايا وأعلاما)، ص 203.

[3] – المرجع نفسه، ص 25.

وكانت نتيجة للحكم السياسي السائد، حيث عالجت مشاكل وهموم أبناء القرية الذين راحوا ضحية لأفكار آبائهم، وهذا ما نلمسه في شخصية القاضي الذي رفض النّظام الاشتراكي، وراح يجري وراء مصالحه بتزويج ابنته "نفيسة" من رئيس البلدية، فالطمع سيطر على فكره، فكان يردّد دائما "الأبناء هم الحل".[1]

الرواية جاءت لتصوّر الواقع الاجتماعي وأثره على الفرد والجماعة وموقف الإنسان أمام تحدّيات القدر، واستبداد القرى المتسلّطة، فلا يمكن للأديب الذي يحبّ وطنه أن يعيش في ظلّ هذه المشاكل دون أن تحرّك فيه أحاسيسه وإلهاماته التي يجسّدها في روايته باعتبارها السلاح الذي يملكه في مواجهة هذا الوضع، بإعطائه صورة حقيقية واقعيّة، ويعمل على تعرية الواقع الاجتماعي والسياسي من فساد الأخلاق وانتهاك للحقوق والحرّيات.

المطلب الثالث: ملخّص الرّواية "ريح الجنوب"

تنطلق الرّواية من صباح يوم الجمعة، وهو يوم سوق، أين يستعدّ "عابد بن القاضي" للذّهاب إلى السوق مع ابنه عبد القادر، فيقف قرب الدّار متأملا أراضيه وقطيع الغنم الذي يقوده الرّاعي "رابح"، وعلى صدره هم ينغّص راحة باله، ذلك أنّ هنالك إشاعات بدأت تروّج منذ صدور القرارات المتعلّقة بالتسيير الذاتي حول الإصلاح الزراعي، ثم خطرت بباله فكرة بعثت في نفسه السرور حين نظر من الخارج إلى غرفة ابنته "نفيسة" يتلخّص مضمونها في تزويج ابنته من "مالك" شيخ البلدية والذي يقوم بتامين لأراضي، في ذلك الوقت كانت نفيسة داخل غرفتها تعاني الضّيق والشعور بالضّجر تقول: "أكاد انفجر" في هذه الصّحراء[2]ن ثم تضيف: كل الطّلبة يفرحون بعطلهم، أما أنا فعطلتي أقضيها في منفى[3]،وفجأة تهدأ "نفيسة" من حالة الاضطراب ولا يخرجها من ذلك إلا صوت العجوز "نجمة" منادية أخاها "عبد القادر" من بعيد معلنة عن قدومها كي تذهب مع "خيرة" والدة "نفيسة" إلى المقبرة، فترغب هذه الأخيرة في الذّهاب معها "أرغب في ذلك يا خالة، أودّ أن أرى الدّنيا؛ إنني اختنقت من هذا السجن.[4]

بعد أيّام تحتفل القرية بتدشين مقبرة لأبناء الشهداء الذين سقطوا أيام حرب التحرير، فيستقبل "عابد بن القاضي" أهل القرية في بيته رغبة منه في التّأثير في "مالك" وإعادة ربط ما بينهما من صلات قديمة

[1] – عبد الحميد لن هدوقة، ريح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 03، ص 56.

[2] – عبد الحميد بن هدّوقة، ريح الجنوب، ط 05، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،م ص 10.

[3] – المصدر نفسه، ص 10.

[4] – المصدر نفسه، ص 20.

فـ"مالك" كان خطيب "زليخة" ابنة "عابد القاضي" والتتي استشهدت أيام الثورة حين أعد "مالك" ورفاقه من المجاهدين لغما كان من المفترض أن يستهدف قطارا عسكريا، لكنه اخطأ واستهدف قطارا مدنيا، كانت "زليخة" من ركّابه، مما أثار غيظ "ابن القاضي" فوشى بالمجموعة لقوات الاحتلال، فأثّر ذلك في نفس "مالك" وأصبح يتهرّب منه، وفي هذا اليوم (يوم الاحتفال) يدعو "عابد بن القاضي "مالك" لرؤية زوجته "خيرة" لأنها ترجو ذلك منه؛ فيقبل دعوتها، وعندما يدخل غرفتها ما إن يقع نظره على "نفيسة" حتى يبهت لما يرى، فهي شديدة الشّبه بأختها وخطيبته السابقة، ويسعى "عابد بن القاضي" لإشاعة خبر خطوبة "مالك" لابنته "نفيسة" على الرغم من التحفظ على ذلك، فتعلن "خيرة" هذا اخبر لابنتها فترفض بشدّة لأنها لا ترغب بالبقاء في القرية، كما أنها لا تريد الزواج بشخص يكبرها سنا ولا تعرفه جيدا، وحين يصرّ الأب على قراره وتفشل في صدّه تستنجد بخالتها التي تسكن في الجزائر فتكتب لها رسالة تطلب من "رابح" أن يحملها إلى القرية المركزية ويضعها في البريد، فيعجب بها "رابح" لأنها تكلّمت معه بلطف، وظنّها معجبة به فقرّر زيارتها ليلا، وبالفعل يقوم بذلك، وعندما تجده فجأة أمتم سريرها تدفعه وتشتمه: "أخرج من هنا أيها المجرم، أيها القذر، أيها الراعي القذر"[1]، فخرج مطأطئا رأسه حزينا، وبقيت تلك الكلمة الحزينة تدوّي في سمعه "أيها الراعي القذر"، ومن يومها يقرّر ترك الرّعي ويشتغل حطّابا.

تمرّ الأيام ولا يزال الأب مصمّما على تزويج ابنته لـ"مالك" فتفكّر طويلا في حلّ لمشكلتها، فتفكّر ي إعادة الجنون ثم الانتحار وأخيرا يقع في اختيارها على حل نهائي وهو "الفرار"، فتضع خطّة محكمة للهروب وتقرّر تنفيذها يوم الجمعة لأن الرجال يتوجّهون إلى السوق بينما النساء يتوجّهن إلى المقبرة، فتخرج متنكّرة مرتدية برنس والدها حتى ر يعرفها أحد، فتتجه إلى المحطّة عبر طريق ذو طابع غابي، فتظل ويلدغها ثعبان، فيغمى عليها، ويصادف أن يجدها "رابح" الذي أصبح حطّابا فيتعرّف عليها، ويعود بها إلى بيته أين يعيش مع أمه البكماء، ولا يطلع والدها عليها لأنها لا تريد العودة "دار أبي لن أعود إليها أبدا"، لكن الخبر يشيع في القرية فيعلم والدها ويعزم على ذبح "رابح" فينطلق إلى بيته ويهجم عليه بقوة شاهرا موسه البوسعادي، "فتنهار قوى "رابح" فتسرع أمه إلى فأس ضاربة "عابد بن القاضي" على رأسه فتنفجر الدماء من رأسه ومن عنق "رابح" فتتصرّف الأم مسعفة ابنها والبنت مسعفة أباها، ثم قامت الأم ودفعت "نفيسة" إلى خارج البيت وبدأت تصرخ فأقبل الناس فزعين واتّجهت "نفيسة" راجعة إلى البيت بعد أن فشلت محاولاتها في الهرب.

[1] – عبد الحميد بن هدّوقة، ريح الجنوب، ص 108.

المبحث الثاني: تجلّيات الواقع في رواية "ريح الجنوب"

المطلب الأول: أثر الواقعية في الرّواية الجزائرية

ارتبطت الرّواية الجزائرية منذ نشأتها الأولى ارتباطا وثيقا بالواقع المعيش، وازداد نزوعها الواقعي حدّة فترة السبعينات والثمانينات، وذلك لما شهدته هذه الفترة من تاريخ الجزائر من تحوّلات على كافة الأصعدة اجتماعيا وسياسيا وثقافيا، استدعت من الكتّاب شكلا آخر من الكتابة، يكون أكثر قدرة على استيعاب القضايا الواقعية المطروحة على أرض الواقع، وتمكن الإشارة إلى رافدين هامّين سلكت عبرهما الواقعية إلى الرّواية الجزائرية الأول مشرقي والثاني محلّي.

فالأول يعود إلى إسهام عامل المثاقفة مع الغرب في نقل مبادئ الواقعية ونظريات الرّواية والواقع إلى الأدب العربي المشرق، الذي مكّنته ظروفه الخاصة من الاتصال بالثقافة الغربية العالمية، ومن ثم التّأثر بها وبمختلف تياراتها خاصة الواقعية، التي بدأ تأثيرها على الرواية العربية متعددة النواحي والمصادر، ومن الأدب العربي في المشرق انتقلت إلى الأدب الجزائري، الذي أطلع كتابه على إنتاج روّاد الرواية العربية الذين أناروا بتجاربهم الإبداعية خاصة التجارب الروائية (الواقعية) دروب الكتابة الروائية للروائيين الجزائريين الذين شرعوا في تلمّس سبل هذا الفن الجديد، ويكفي أن نذكر في هذا المجال أسماءً معروفة تمثّل الكتّاب الجزائريون نصوصهم الروائية كـ"توفيق الحكيم"، "نجيب محفوظ"، عبد الرحمن الشرقاوي ... وغيرهم ، والثاني يكمن في استفادة الكتّاب الجزائريين من رافد محلّي يتمثل في الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي التي تسنّى لها الاتصال بالثقافة الغربية، فقد كانت هذه الرواية على مستوى كبير من النّضج الفكري والفنّي، حيث وجد روّادها وعلى عكس كتّاب الرواية العربية الجزائرية تراثا غنيا ونماذج جيدة في الأدب الفرنسي، نسجوا على منوالهم أعمالهم الأدبية.[1]

هذا ويذهب الدكتور "الأعرج واسيني" في دراسته الموسومة بـ"اتّجاهات الرواية العربية في الجزائر إلا أنّ القدرة على التلاؤم مع تأزمات الواقع ورصدها بشكل واقعي قد ظهرت في الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي، وقبلها بقليل عند بعض المتجزّئرين فكان ذلك مجتمعا إيذانا بتبلور اتجاه أدبي واقعي يحمل نسقا جديدا، واستمرّ ذلك مع كتاب قادرين حتى اندلاع الثورة الوطنية، ثم بعد الاستقلال على يد قافلة من الكتّاب

[1] – ركبي عبد الله، تطور النثر الجزائري الحديث، الدار العربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 200.

(محمد ديب، كاتب ياسين ... وغيرهما)[1]، ويخلص الكتاب في نهاية حديثه من أثر الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية على الرواية العربية إلى القول: "إنّ هذا التراث الجزائري الواقعي، وهذا الزخم الثوري هو الذي بنى عليه معظم كتّاب ما بعد الاستقلال إنجازاتهم الرائعة وفي ظل التحوّلات الديمقراطية، هذا الموروث الذي كان دائما بقي الأدب الجزائري بشكل عام من التساقط في الشكلانية والسوداوية التي لا مبرر لها في مجتمع يفتح ذراعيه للمستقبل.[2]

الرواية الجزائرية لم تأت من فراغ، فهي ذات تقاليد فنية وفكرية في حضارتها، كما أنها ذات صلة تأثيرية ما بهذا الفن كما عرفته أوروبا في العصر الحديث خصوصا بعد شيوع هذا المصطلح (الواقعية) [3] فارتبطت ارتباطا وثيقا بالواقع، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، فواقعه الجزائر آنذاك كانت تسوده العزلة والحرمان، وما يكثر من دعاوى الحرية والوطنية والديمقراطية والرّخاء.[4]

فعالجت الموضوعات المادية الصميمة أو الحيوية الصارخة كالفقر والتعليم والحرية والهجرة وغيرها من الموضوعات التي كان يشكو منها تحت الاحتلال[5]، وكتب الأدباء عن هذه المشكلات يصوّرون الحياة الاجتماعية ببؤسها وحاجتها وشعورها بالمرارة وثورتها على الظّلم والتّعسّف.[6]

تعتبر رواية "اللاز" لـ"الطّاهر وطّار"الرّواية الأولى التي عملت على إرساء دعائم رواية متطوّرة في معالجتها واقعيا برؤية إيديولوجية واضحة في سياستها، تأرجحت بين واقعية نقدية وانتقادية ملامسة لواقعية اشتراكية.[7]

يرى "عبد الله الركيبي" أنّ الرواية في الجزائر لم تنجح إلا بعد جمعها بين الواقع الاجتماعي وبين التجربة الخاصة للأدبي، فهو يلحّ على التجربة الذّاتية، ولا يعني بهذا الذاتية التي عرفها الأدب العربي في

---

[1] – واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية الجزائرية، ص 364– 365.

[2] – المرجع نفسه، ص 367.

[3] – عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تأريخا، أنواعا وقضايا، ديوان المطبوعات الجامعية، بنعكنون، ص 196.

[4] – سعد الله أبو قاسم، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط 05، 2007، ص 56.

[5] – المرجع نفسه، ص 57.

[6] – سعد الله أبو قاسم، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص 57.

[7] – عمر بن قينة، مرجع سابق، ص 240.

إحدى مراحله، إنما هي التجربة التي تتبع من معاينة الناس ومشاطرتهم مشاكلهم اليومية، فهي ليست انفصالا عن واقع الناس بل معايشة له.[1]

ومهما يكن من أمر تأثر الرواية الجزائرية بالرواية العربية أو بالرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي، فإنّ إتباع المذهب الواقعي يعدّ أمرا حتميا نظرا لطبيعة الأوضاع التي عاشها الشعب الجزائري قبل الاستقلال وبعده، وإذا وجدت بعض الأعمال الروائية التي يمكن تصنيفها تحت مذاهب أخرى كالمذهب الرومانسي فإنّ عددها قليل مقارنة بسابقاتها.[2]

من جهة أخرى نجد تأثر الرّوائيين الجزائريين بالرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي لا يعدو أن يكون محدودا جدا ويقتصر على عدد قليل من الكتّاب الذين سمحت لهم ظروفهم الخاصة بالاتصال بالفكر الغربي من خلال اللغة الفرنسية، وهذه الظّاهرة (التّأثر) لا يمكن تعميمها نظرا لعدم انتشار الثقافة الفرنسية إبان الاحتلال على نطاق واسع.

لقد تفاعلت الرواية الجزائرية ومستجدّات الواقع الوطني بعد الاستقلال فأضحى هذا الواقع بالنسبة لها مجالا خصبا انبثقت منه مختلف التجارب الإبداعية والرّؤى الفكرية الواقعية، حيث نزعت الرواية الجزائرية إلى الاتجاه الواقعي بقسميه الانتقادي الذي عكسته روايات الكاتب "عبد الحميد بن هدّوقة" (1925-1996م) خاصة منها ريح الجنوب 1971م، وقد تمكّن هذا الأخير بهذين العملين الروائيين أن يؤكّد على العلاقة الجدلية بين الكتابة الروائية وبين الواقع الاجتماعي في سيرورته وتقدّمه، وذلك رغم الصورة الباهتة التي قدّمها الكاتب عن الصراع الطبقي في الريف.[3]

أما الاتجاه الثاني الواقعي الاشتراكي فخير من يمثله الأديب "الطّاهر وطّار" الذي يعدّ من الروائيين العربي الذين عرفوا بانحيازهم للواقعية الاشتراكية كمذهب أدبي يقوم على أساس شعبية الأدب، برز هذا الانتماء من خلال جل كتاباته الروائية التي حاولت أن ترصد لحركة التّحرّر الوطني في الجزائر والتحوّلات

[1] – سعد أبو القاسم، مرجع سابق، ص 298.

[2] – د. صالح مفقودة، الواقعية في الرواية الجزائرية، ص 18.

[3] – روابنية الطاهر، اتجاهات الرواية العربية في بلدان المغرب العربي (1945– 1975)،محفوظ رسالة ماجستير في الأدب المعاصر، إشراف، د. معروف خزنة،جامعة الجزائر، 1985، ج 02، ص 409.

الاجتماعية بعد الاستقلال بكل تعثّراتها، سلبياتها وإيجابياتها في "اللاز" الأولى والثانية و"الزلزال" "الحراث والقصر" وغيرها من الأعمال.[1]

تظهر بعد تجربة الروائي الطّاهر وطّار" تجربة فترة السبعينات فيما عرف آنذاك بـ"أدب الشباب" الذين اتّخذوا من أعمال "وطّار" نموذجا للكتابة الاشتراكية التّقدّميّة لأنهم فتحوا أعيتهم على كاتب يبدو إلى جانب الرّئيس "بومدين" أقرب إلى نموذج "ماكسيم جوركي" إلى جانب "لينين" وإنهم كانوا يجرّبون الكتابة الأدبية تحت مظلّة الخطاب السياسي الإيديولوجي السائد، وليس ذلك الخطاب الاشتراكي الذي أصبح يقترن بالوضعية والتّضحية من أجل تغيير أوضاع الطبقة لكادحة وتمثل تجربة كل من: "جيلالي خلاص"، "بقطاش مرزاق، "الأعرج واسيني" خير مثال على ذلك.[2]

هذا ويجدر بنا قبل الشروع في استجلاء ملامح الواقع وعلاقاته في رواية ما تبقّى من سيرة "لخضر حمروش" أن نستقرئ أثر التحوّلات التي شهدها هذا الواقع الوطني الاجتماعي في فترة السبعينات على الرواية الجزائرية وذلك لما لها من ارتباطات وثيقة بطبيعة الموضوعات التي شكّلت أسئلة متن الرواية التي بين أيدينا.

المطلب الثّاني: أثر الواقعية في رواية "ريح الجنوب"

لقد سعى الرّوائي "عبد الحميد بن هدّوقة" إلى تصوير الواقع الاجتماعي بتناقضاتها المختلفة، حيث كانت روايته الموسومة بـ"ريح الجنوب" مرآة عاكسة لما يجري في الحياة الاجتماعية، فلم يقم الروائي بتصوير الواقع صياغة فنية جديدة، فقد تبنى الروائي "الصراع الإيديولوجي وكشف عن معانة الطبقة الفقيرة وعبّر بواقعيّة، وصدق عن هذه المعاناة التي عاشها الشعب الجزائري لا تنحصر في استبداد المستعمر وقهره لهذه الطبقة المحرومة، بل نجد أيضا الطّبقة الإقطاعية التي هي من صنع الاستدمار.

كما كتب الروائي هذه الرّواية وهو متشبّع بإيديولوجية الحزب الواحد الذي فرض وحدة الفكر ووحدة العمل، طغت روح التفاؤل على الرواية، كما يؤممن بها الروائي أشدّ الإيمان جاعلا هذه الروح عالقة في أذهان القرّاء، كانت لغة الروائي معبّرة بصدق عن البيئة الريفية وما عانته من ويلات الاستدمار.

---

[1] – بن الطاهر بن يحي، واقع المثقف الجزائري من خلال رواية "تجربة في العشق" للطاهر وطّار، الصندوق الوطني لترقية الفنون، الجاحظية، 2003، ص 14.

[2] – مخلوف عامر، توظيف التراث في الرواية الجزائرية، منشورات دار الأديب، الجزائر، ط 01، ص 114.

"الواقعية" الاشتراكية التي تبنّاها الرّوائي لا تحكي لنا قصص مسلّية بل تروي لنا صراع الإنسان ضدّ الطبيعة، حيث وظّف الكاتب لغة هادئة تحمل دلالات تعبّر عن النّهج الإيديولوجي والسياسي المتمثّل في المنهج الاشتراكي الذي يسعى الكاتب إلى توضيحه، فالمضمون الغارق في المباشرة الواقعية مرتبط بالفلسفة الماركسية، صوّر لنا الباحث صورا إباحية وعدم احترام الجانب الأخلاقي، وهو بهذا الوصف أراد أن يعكس الصورة التي شاهدها كما هي دون تزييف وهي من سمات الواقعية الاشتراكية ليس صراعا بين أفراد معزولين عن القوى الاجتماعية، ليس على غرار الرّواية البرجوازية التي تهتم بمواجهات الأفراد ضدّ بعضهم البعض: (الصراع القائم هو بين الشرائح الاجتماعية الفقيرة من جهة وقوى الاستدمار من جهة أخرى، فالصراع الذي نستقرئه من الواقعية الاشتراكية تتضمنه الأرض، فالجزائري يصارع من اجل أرضه، ويصارع من اجل أرضه الكبيرة، نجد الروائي استهلّ روايته فتطبيقه صورا فيها "ريح الجنوب" وهو استفتاح أشار من خلاله إلى إعطاء معلومات التي فسّرت مضمون الرّواية.[1]

[1] – مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، الصراع الإيديولوجي في رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدّوقة، الكاتب الجمعي بن حركات.

خاتمة

خاتمة:

بعد الدّراسة التي قمنا بها في البحث عن الاتجاه الواقعي في رواية "ريح الجنوب" نختم دراستنا عند أهم النتائج التي توصّلنا إليها؛ وهي:

* لقد عبّرت رواية "ريح الجنوب" لـ"عبد الحميد بن هدّوقة" عن الواقع الجزائري المعاش بعد الاستقلال؛

* الواقعية في الأدب العربي عامة لم تنشأ من فراغ، وإنما فرضتها الظّروف العامة التي طبعت المجتمع العربي من سياسية واقتصادية ... وغيرها؛

* أظهرت هذه الرّواية الصّراع الحضاري الذي يعيشه الإنسان والمرأة بصفة خاصة في زمن الحرب من بؤس وشقاء محاولين إيجاد الحلول للمجتمع؛

* تجلّت الواقعية الاشتراكية النقدية بشكل كبير في رواية ريح الجنوب لاهتمامها بمشكلات الطّبقات الكادحة فتعمّق الكاتب في طرح مواضيع تهم الإنسان وتشغل تفكيره، إضافة إلى خبراته الفنية والجمالية ليعبّر عن جل القضايا في نختلف المجالات جاعلا عمله رسالة في صميم المجتمع.

* لقد توجّه بعض الكتّاب لتوظيف الواقع في رواياتهم بهدف معالجة قضايا الأمة، فاختاروا الكتابة بلغة المجتمع لإضاءة الجوانب المظلمة في حياة الإنسان، وتصوير ما مرّ به سواء كانت هذه الحياة اجتماعية، سياسية أو ثقافية، ومن هذا المنطلق قد جعل الرّوائيون من المجتمع والواقع أداة تساعده على إبداع عمل روائي من خلال أمته ومجتمعه.

النص الرّوائي الذي قمنا بدراسته يدل على أنّ مبدعه عاش أحداثه رابطا الوقائع بالمجتمع عبّر عن عدّة قضايا كقضية المرأة والإنسان المضطهد والمتمرّد عليه، وعن ظهور ما يعرف بالثورة الزراعية، كما صوّر حالة المثقّف الجزائري الذي عان التّهميش واللامبالاة بين أفراد المجتمع ومشاكله، والرغبة القوية في علاجها، فالرواية هي تصوير لتجربة توحي بمعاني إنسانية واجتماعية وإيديولوجية عامّة تتضّح معالمها ومعانيها، و"عبد الحميد بن هدّوقة" قد عبّر عن هذه التّجربة بشخصيات الرّواية المختلفة متبنّيا الواقعية النّقدية التي ترتكز على الجوانب السلبية في المجتمع من فساد أخلاقي وظلم واستغلال.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

المصادر:

عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 03، 1977.

أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة، بيروت، لبنان، ط 01، 1997،ج 03.

المعاجم:

1. إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، دار نحمد علي الحامي للنشر، مقياس تونس، 1988.
2. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر بيروت، لبنان، مج، ط 04، 2005.
3. أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، دار إحياء التّراث العربي، لبنان، ط 01، 2001.

المراجع:

1. إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، منشورات دار الآفاق، الجزائر، ط 01، 1999.
2. أحمد سيد أحمد، المختار والنصوص والنقد والتراجم، د ط، 1998.
3. إدريس بودينة، الرؤية والبنية في روايات الطّاهر وطّار، من روايات الطّاهر ومنشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، ط 01، 2011.
4. جبار مدحت، النص الأدبي من منظور اجتماعي، دار الوفاء للطباعة والنشر، الجزائر، ط 01، 2003.
5. ركيبي عبد الله، تطوّر النثر الجزائري الحديث، الدار العربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
6. سحر حسين الشريف، دراسات نقدية في الرّواية العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2011.
7. سعد الله أبو القاسم، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط 05، 2007.
8. سيدي محمد بن مالك، رؤية المعاجم في روايات عبد الحميد بنو هدّوقة، مقاربة سوسيو شعرية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2015.
9. صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية ، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، بسكرة، الجزائر.

10. الطرير جليلة، مقوّمات السيرة الذاتية في الأدب العربي.
11. عبد الحميد بن هدّوقة، ريح الجنوب، ط 05، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
12. عبد الحميد بوسماحة، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدّوقة، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
13. عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط 02، 1972.
14. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، الجزائر، ط 02، 2009.
15. لينة عوض، تجربة الطّاهر وطّار الروائية (بين الإيديولوجية وجماليات الرواية)، أمانة عُمان الكبرى، 2003.
16. محذوف عامر، توظيف التراث في الرواية الجزائرية، منشورات دار الأدب، الجزائر، ط 01، ص 114.
17. محمد مصايف، دراسات في النقد والأدب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
18. واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

فهرس الموضوعات:

إهـــداء

إهـــداء

مقدّمة:..... 1

الـــفصل الأوّل: الـرّوايـة الـعربيّـة الـجزائـريّـة..... 3

المبحث الأوّل: تاريخ ظهور الرّواية العربية..... 4

المطلب الأوّل: تعريف الرّواية 4

المطلب الثاني: نشأة الرّواية العربية 6

المطلب الثالث: نشأة الرّواية الجزائرية وتطوّرها 12

المبحث الثاني: مفهوم الواقعية كمذهب أدبي..... 21

المطلب الأوّل: مفهوم الواقعية كمذهب أدبي 21

المطلب الثّاني: أنواع الواقعيّة..... 22

المطلب الثالث: الرّواية والواقع..... 25

الفصل الثاني: رواية ريح الجنوب..... 29

المبحث الأوّل: عبد الحميد بن هدّوقة وروايته 30

المطلب الأوّل: تعريف الرّوائي بن هدّوقة 30

المطلب الثاني: ظروف كتابة رواية "ريح الجنوب": 31

المبحث الثاني: تجلّيات الواقع في رواية "ريح الجنوب" 34

المطلب الأول: أثر الواقعية في الرّواية الجزائرية 34

المطلب الثّاني: أثر الواقعية في رواية "ريح الجنوب" 37

خاتمة:..... 40